
مجلة الشهاب • المجلد: 08، العدد: 03 (2022م) • ص ص 063 – 074
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

معية اللّه تعالى مع عباده الصابرين في القرآن الكريم
ـ دراسة موضوعية ـ

Allah's Support to his Patient Servants in the Holy Quran : An Objective Study

صفية العرابي *
جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)
alorabi85@gmail.com

أحمد ابن عبد الرحمان
جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)
ibanabderrahman@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/06/24 | تاريخ القبول: 2022/09/16 | تاريخ النشر: 2022/11/12



ملخص: إن الصبر من أعظم الصفات التي ذكرها الله في القرآن الكريم، ولذا قرنها الله –عزوجل – بإحدى صفاته العليا ألا وهي صفة المعية، وهذه المعية هي الخاصة بعباده المؤمنين؛ الصابرين على طاعة الله وطاعة رسوله؛ الصابرين على جهاد النفس بالصلاة والصبر بالاستعانة به؛ وأيضا الصابرين على الجهاد في سبيله، بالثبات أمام العدو، فوعد الله –عز وجل– أهل هذه الصفات بأن يكون معهم بالنصر والتأييد والمعونة.

الكلمات المفتاحية: معية الله؛ الصابرين؛ المؤمنين؛ دراسة موضوعية.

Abstract: Patience is one of the greatest qualities mentioned by Allah Almighty in the Holy Quran, therefore he linked it to one of his supreme attributes, namely, his support to his faithful believers who are patient in obedience to him and to his messenger; those who strive against oneself with prayers, patience and seeking of Allah's help as well as those who are firm in front of the enemy. Allah the Almighty advocates and supports His servants who bear those qualities.

Keywords: Support; Patience ; Believers; Objective Study.

1. مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أما بعد:

لما كانت صفة المعية إحدى الصفات الثابتة لله تعالى، كما دلت على ذلك الآيات القرآنية، فأوجب ذلك حرص العبد المسلم على الأسباب والوسائل الموجبة لهذه المعية حتى ينال توفيق الله –عزو جل- في الدنيا ثم الآخرة، وأحببت أن أتناول في هذه الورقة البحثية سببا من هذه الأسباب ألا وهو الصبر، فما وجه تخصيص عباد الله الصابرين بمعيته –سبحانه-؟

* المؤلف المراسل.

أهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة للوصول إلى عدة أهداف منها:

معرفة معنى معية الله، والوسائل الموجبة لها.

بيان الوسائل والسبل المحققة لمعية الله تعالى.

الكشف عن أوجه تخصيص الله تعالى عباده الصابرين بهذه المعية.

ولتحقيق تلك الأهداف، اتبعنا المنهج الاستقرائي، والوصفي التحليلي، وشكلت خطوات التفسير الموضوعي الإطار العام للدراسة.

كما انتظم البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة، وجاءت خطته كما يلي:

1. مقدمة
2. مفهوم المعية ووسائل الفوز بها
   2. 1. مفهوم المعية لغة واصطلاحا
   2. 2. وسائل الفوز بمعية الله - تعالى
3. معية الله - تعالى مع عباده الصابرين
   3. 1. مفهوم الصبر
   3. 2. معية الله - تعالى مع عباده الصابرين
4. الخاتمة
5. قائمة المصادر والمراجع

2. مفهوم المعية ووسائل الفوز بها

إن معية الله –عز وجل- هي أعظم معية يتشرف بها العبد المؤمن، فهي ثابتة بالقرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ الحديد 4، وجاء أيضا في قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ المجادلة:7

والمراد بالمعية هنا أن الله مع جميع الخلق بعلمه، أي بمعنى الإحاطة والشمول، فهو مطلع على خلقه شهيد عليهم وعالم بهم، وسميت عامة لأنها تعم جميع الخلق من بني آدم.

وهناك معية خاصة تفيد معية الله سبحانه لملائكته، أو صفوة خلقه من أنبيائه، وأوليائه والمؤمنين الصادقين قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ البقرة 153

1.2. مفهوم المعية (مع الله)

المعية اسم مشتق من كلمة "مع" قال الأصفهاني في كتابه المفردات: «مع» يقتضي الاجتماع إمّا في المكان: نحو: هما معا في الدار، أو في الزمان. نحو: ولدا معا، أو في المعنى كالمتضايفين نحو: الأخ والأب، فإن أحدهما صار أخا للآخر في حال ما صار الآخر أخاه، وإما في الشّرف والرّتبة. نحو:

هما معا في العلوّ، ويقتضي معنى النّصرة نحو قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ التوبة 40 ، أي ناصرنا، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ النحل 128، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ﴾ الحديد 4، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ ﴾ البقرة 153، ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ ﴾ البقرة 193، وقوله تعالى عن موسى: ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ ﴾ الشعراء: 62.[1]

وقال محمد بن السَّرِيّ: الذى يدل على أَن مع اسم حركة آخره مع تحرّك ما قبله. وقد يسكّن، وينوَّن، تقول: جاءُوا معا. وقال الليث: مع: حرف من حروف الخفض. وقال الأَزهري: مع: كلمة تضمّ الشيء إِلى الشيء وأَصلها معا. وقال غيره: هي للمصاحبة[2].

مَعَ [كلمة وظيفيّة]: لفظة تفيد المصاحبة واجتماع شيئين، ولها استعمالان:

أوّلهما: (أن تكون مضافة فتكون ظرفًا ثنائيّ اللفظ وتدلّ على: موضع الاجتماع، ولهذا يخبر بها عن الذوات، أو تدلّ على زمان الاجتماع أو تكون مرادفة لكلمة: عند.

ثانيهما: (أن تكون غير مضافة فتأتي اسمًا منوَّنًا منصوبًا (على الحاليّة أو الظرفيّة) للمثنى والجمع "جئتك مع الظُّهر-خرجنا معا: في زمان واحد، جميعًا-كنّا معا: في مكان واحد، جميعًا-﴿ وَاللهُ مَعَكُمْ ﴾ " فعل ذلك مع تحذيري إيّاه: رغم تحذيري إيّاه).[3]

وفي الأخير نستنتج أن أصل المعية يرجع إلى الاسم (مع)، ومعناه الصحبة والمصاحبة، وضم الشيء إلى الشيء واجتماع شيئين، ولا فرق بين تعريفها اللغوي والاصطلاحي.

2.2. معاني المعية في القرآن الكريم.:

قال الدامغاني: إن (مع) في القرآن على ستة أوجه:

على دينكم – أنزل عليكم – الناصر – العالم – المصاحبة – عليه.

فوجه منها، "معكم" يعني: على دينكم، قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ ﴾ البقرة:14، يعنون: على دينكم، ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ وكقوله تعالى في سورة هود: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ هود:58، أي على دينه وقوله تعالى في سورة الملك:﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ ﴾ الملك: 28، أي على ديني، ونحوه كثير.

والوجه الثاني: "معهم" أي: أنزل عليهم، قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ ﴾ البقرة:89، يعني: لما أنزل عليهم، مثلها فيها.[4]

الوجه الثالث، "معنا" يعني: ناصرنا؛ قوله تعالى في سورة براءة: ﴿ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ التوبة: 40، يعني ناصرنا، وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ الشعراء: 62، يعني: ناصري، ونحوه كثير.

الوجه الرابع: "معهم" يعني: عالِم بهم؛ قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ﴾ المجادلة:7 يعني عالم بهم، وقوله سبحانه وتعالى في سورة الحديد: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ الحديد: 4: فهو معهم أين ما كانوا.

الوجه الخامس: "مع" يعني: الصحبة والمرافقة؛ قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ النساء: 69، يعني الصحبة.

والوجه السادس: "معه" يعني: عليه؛ وقوله تعالى في سورة الأعراف ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف:157: يعني: عليه[5].

2،3. وسائل الفوز بمعية الله تعالى :

لقد ذكر الله –عز وجل- في القرآن الكريم معيته لعباده المؤمنين في أربع صفات، وهي وسائل تجعل الله مع عبده أين ما كان، وذلك بالتقرب إليه بما يحبه، ومن بين هذه الوسائل: الإيمان والتقوى والإحسان والصبر، فمن المعية الخاصة قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي - رحمه الله -: "ومعيته مع أهل طاعته خاصة فهو - سبحانه - مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

والمعية الخاصة تقتضي حسن الظن بإجابته ورضاه وحفظه وصيانته.[6]

وقد بينت هذه الوسائل في الجدول الآتي:

الجدول **1**: يبين الآيات التي ورد فيها مصطلح المعية في القرآن الكريم.

وسيلة المعية	الآية الكريمة	السورة	مكية / مدنية
الإيمان	﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾	الأنفال	مدنية
الإحسان	﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾	العنكبوت	مكية
التقوى والإحسان	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾	النحل	مكية
التقوى	﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾	البقرة	مدنية
التقوى	﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾	التوبة	مدنية
الصبر	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾	البقرة	مدنية
الصبر	﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾	البقرة	مدنية
الصبر	﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾	الأنفال	مدنية
الصبر	﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾	الأنفال	مدنية

والملاحظ من خلال هذا الجدول أن أغلب السور التي وردت فيها معية الله تعالى لعباده كانت مدنية، وهنا أقصد المعية الخاصة، وليست العامة التي جاءت في القرآن المكي والمدني.

كما جاءت صفة الإحسان في آخر آية من سورة العنكبوت المكية؛ وكما نعلم أن سورة العنكبوت هي من أواخر ما نزل بمكة، كما أن صفة التقوى والإحسان جاءت في سورة النحل المكية، لكن العلماء قالوا أن سورة النحل مكية سوى ثلاث آيات آخرها فهي مدنية " وهذه الآية من ضمنها، قال المفسرون بدليل ما أخرجه النحاس عن طريق مجاهد عن الحبر أنها أي هذه السورة نزلت بمكة سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرف رسول الله ﷺ من أحد، ولهذا عدت مدينة "[7]، وبهذا نستطيع أن نقول أن الآيات التي وردت فيها صفة معية الله - تعالى - هي آيات مدنية ، إلا سورة العنكبوت التي كانت من آخر ما نزل بمكة ، كيف لا وهو الحظوة بمعية الله - تعالى، وما في ذلك من انشراح الصدر، وطمأنينة القلب، وهذا يتناسب مع موضوع وجو نزول هذه السور المدنية.

3. معية الله تعالى مع عباده الصابرين

إن معية الله - تعالى مع عباده الصابرين؛ هي معية خاصة، خصصها الله - تعالى لعباده المؤمنين، وهي من أعظم الأسباب التي توجب معيته بالنصرة، واللطف، والتأييد، كيف لا والصبر من الأعمال التي قال الله عنه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ الزمر:10

1.3. مفهوم الصبر

أولا: معنى الصبر لغةً:

قال الجوهري: الصَّبْرُ نقيض الجَزَع، صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا فهو صابِرٌ وصَبَّار وصَبِيرٌ وصَبُور والأُنثى صَبُور أَيضًا بغير هاء وجمعه صُبُرٌ. وأَصل الصَّبْر الحَبْس وكل من حَبَس شيئًا فقد صَبَرَه، والصبر: حبس النفس عن الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبرا. وصَبَرْتُهُ أنا: حبسْته. قال الله تعالى: ﴿واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعونَ رَبَّهُمْ﴾.[8]

وجاء في لسان العرب: الصَّبْرُ نقيض الجَزَع صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْراً فهو صابِرٌ وصَبَّار وصَبِيرٌ وصَبُور والأُنثى صَبُور أَيضاً بغير هاء وجمعه صُبُرٌ. وأَصل الصَّبْر الحَبْس وكل من حَبَس شيئاً فقد صَبَرَه.[9]

ومن خلال ما سبق يتبين أن لفظ الصبر عند علماء اللغة هو المنع والحبس.

ثانيا: معنى الصبر اصطلاحًا:

عرفه ابن القيم بقوله: هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.[10]

وعرفه الراغب الأصفهاني: الصبر بأنه: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، وعما يقتضيان حبسها عنه.[11]

ومنه نستنتج أن الصبر هو حمل النفس على أداء الطاعات، واجتناب المنهيات، وتقبل البلاء بالرضا والتسليم من غير سخط ولا كره.

ويتضح الفرق بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، فالشرع حدد صور الصبر وضبطها فهو خلق مخصوص، رتب عليه الشارع جزاء. فقد يصدق على الجبان وصف الصابر من جهة اللغة؛ لأنه حبس وامتنع، ولا يصدق عليه هذا الوصف في الشرع.

ثالثا: معنى الصبر في القرآن الكريم

ذكر ابن الجوزي أَن الصَّبْر فِي الْقُرْآن على ثَلَاثَة أوجه:

أَحدهَا: الصَّبْر نَفسه وَهُوَ حبس النَّفس. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي آل عمرَان: ﴿الصابرين والصادقين﴾، وَفِي إِبْرَاهِيم: ﴿أجزعنا أم صبرنَا﴾، وَفِي ص: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾، وَهُوَ الْأَعَمّ فِي الْقُرْآن.

وَالثَّانِي: الصَّوْم. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى (فِي الْبَقَرَة): ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصبرِ وَالصَّلَاة﴾.

وَالثَّالِث: الجرأة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِيهَا: ﴿فَمَا أصبرهم على النَّار﴾، (أَي: فَمَا أجرأهم على النَّار)، ذكره الْفراء. وَحكى الْأَصْمَعِي: أَن أَعْرَابِيًا حلف لَهُ رجل كَاذِب فَقَالَ لَهُ الْأَعرَابِي مَا أصبرك على الله: يُرِيد مَا أجرأك على الله.[12]

وذكر الدمغاني أن لفظ (الصبر) ورد في القرآن الكريم على خمسة أوجه، هي: الصيام – الجرأة – الإصرار – الرضا – الصبر بعينه

فزاد عليه معنى الإصرار والرضا فقال: والوجه الثالث: الصبر يعني: أصروا على الشر؛ قوله تعالى في سورة ص ﴿ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ﴾(6)، يعني: أصرا على عبادتها واثبتوا، وكقوله تعالى: ﴿ لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ الفرقان: 42، أي ثبتنا على عبادتنا.

والوجه الرابع: الصبر الرضا؛ وقوله تعالى في سورة الطور: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾، الآية:48، يعني: وارض بقضاء ربك، مثلها في سورة ﴿ن والقلم﴾، الآية: 48 [13]

وحاصل ما تقدم: أن لفظ (الصبر) ورد في القرآن الكريم على خمسة معان، وأكثر ما ورد بمعنى كف النفس عن السخط وتجنب الجزع، وتحمل مصائب الدنيا بالرضا وعدم الشكوى.

وجاء بدرجة تالية بمعنى الثبات على الشيء وملازمته، وجاء بدرجة أقل بمعنى الرضا بقضاء الله، وبمعنى الصوم، وبمعنى الجرأة.

2.3. معية الله تعالى مع عباده الصابرين:

مادة (صبر) وردت في القرآن في ثلاثة ومائة موضع جاءت في واحد وأربعين موضعاً بصيغة الاسم، وجاءت في اثنين وستين موضعاً بصيغة الفعل.

وروي عن الإمام أحمد قوله: "ذكر الله تعالى الصبر في القرآن في نحو من تسعين موضعاً، وهو واجب

بإجماع الأمة. وهو نصف الإيمان؛ فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر[14]".

أولا: معية الله -سُبْحَانَهُ- بالصبر على البلاء بالاستعانة بالصبر والصَّلَاةِ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ البقرة: 153، هذا الخطاب موجه لأهل الإيمان (يا أيها الذين آمنوا)؛ فلإيمان الذي أعلنوه يقتضي القبول والانقياد والتسليم لربهم، أي أن الإيمان بالله - تعالى لا يكون صحيحا إلا مع اليقين الجازم بوجوده ووحدانيته - تعالى، "فبَيّنَ الله تَعَالَى أَنَّ مَا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى تَحَمُّلِ الْمَصَائِبِ هو الصَّبْرُ وَالصَّلَاةُ، وَفِي الْحَدِيثِ "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا حَزَبَه أَمْرٌ صَلَّى"[15].

قال الرازي: "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ يَعْنِي فِي النَّصْرِ لَهُمْ كَمَا قَالَ:﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ البقرة:137، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى ضَمِنَ لَهُمْ إِذَا هُمُ اسْتَعَانُوا عَلَى طَاعَاتِهِ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ أَنْ يَزِيدَهُمْ تَوْفِيقًا وَتَسْدِيدًا وَأَلْطَافًا كَمَا قَالَ: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً ﴾ مريم:76."[16]

" أبان سبحانه في هذه الآيات أن النعمة قد تقترن بالبلاء وألوان المصائب، ولكن لا دواء لتحمل المصيبة ومقاومة الأعداء من المشركين وأهل الكتاب إلا بالاستعانة بالصبر والصلاة، إذ في الصبر تقوية الإرادة وتحمل المشقة والثبات على المصاعب، وأن الله مع الصابرين، أي بالعون والنصرة والرعاية والتأييد، فلما فرغ سبحانه من بيان الأمر بالشكر، شرع في بيان الصبر، والإرشاد والاستعانة بالصبر والصلاة، فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكرها، أو في نقمة فيصبر عليها.

وأما الاستعانة بالصلاة فلأنها أم العبادات، وهي طريق الصلة بالله ومناجاته واستشعار هيبة الله وجلاله، وهي مفزع الخائفين، وسبيل تفريج كرب المكروبين، واطمئنان نفوس المؤمنين، قال ﷺ: «جعلت قرّة عيني في الصلاة»[17] .

وإذا استعان المؤمن بالصبر والصلاة التي تملأ القلب خشية وخشوعا لله، وتبعد النفس عن الفواحش والمنكرات، هانت عليه المصاعب، وتحمّل كل شدة ومشقة، وقاوم كل عناء وكرب.

وإنما خصّ الصبر لأنه أشدّ شيء باطني على النفس، وخصّت الصلاة، لأنها أشدّ عمل ظاهري على الإنسان، إذ فيها انقطاع عن الدنيا، واتجاه إلى الله.[18]

فالاستعانة بالصبر والصلاة على البلاء والمحن من أعظم صفات عباد الله الصابرين .

ثانيا: معية الله المؤمنين في جهادهم الكافرين

فمَعِيَّةُ اللهِ الْخَاصَّةُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي جِهَادِهِمُ الْكَافِرِينَ لأجل صبرهم، والصبر هنا شمل كُلَّ أَنْوَاعِهِ؛ صبر عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَعَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَعَلَى مَا أَصَابَهَا مِنَ الْجَهْدِ وَالتَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ فِي تَحَمُّلِ أَعْبَاءِ الْجِهَادِ.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ

كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ البقرة: 249، قال الطبري: "فأوجب الله تعالى ذكره أن"الذين يظنون أنهم ملاقو الله"، هم الذين قالوا عند مجاوزة النهر:"كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله"، دون غيرهم الذين لا يظنون أنهم ملاقو الله-وأن"الذين لا يظنون أنهم ملاقو الله"، هم الذين قالوا:"لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده".[19]

وقال السعدي: "يستيقنون ذلك، وهم أهل الإيمان الثابت واليقين الراسخ، مثبتين لباقيهم ومطمئنين لخواطرهم، وآمرين لهم بالصبر ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾ أي: بإرادته ومشيئته فالأمر لله تعالى، والعزيز من أعزه الله، والذليل من أذله الله، فلا تغني الكثرة مع خذلانه، ولا تضر القلة مع نصره، ﴿ والله مع الصابرين ﴾ بالنصر والمعونة والتوفيق، فأعظم جالب لمعونة الله صبر العبد لله، فوقعت موعظته في قلوبهم وأثرت معهم.

ولهذا لما برزوا لجالوت وجنوده ﴿ قالوا ﴾ جميعهم ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرا ﴾ أي: قو قلوبنا، وأوزعنا الصبر، وثبت أقدامنا عن التزلزل والفرار، وانصرنا على القوم الكافرين. "[20]

فالله مع الصابرين بتوفيقه ونصره، وحسن مثوبته، فهو معينهم على الجهاد في سبيله، وظهورهم ونصرهم على أعدائه الصادين عن سبيله، المخالفين منهاج دينه.

ثالثا: طاعة الله ورسوله وعدم التنازع موجبة لمعيته سبحانه وتعالى.

قال تعالى:﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الأنفال: 46، "فطاعة الله والرسول في كل ما أمر العبد به ونهي عنه، فما أمرنا الله - تعالى به ائتمرنا، وما نهانا عنه انزجرنا لأن طاعة الله ورسوله من أسباب تحقيق الفوز والنصر في القتال وغيره، ولأن الطاعة تحقق الانضباط، وتوفر النظام، وتقمع الفوضى والتشتت، وظرف الحرب يقتضي الانضباط واحترام النظام وحبّه في أعلى مستوى وأكمله.

وهو وحدة الصف والكلمة والهدف، وعدم التنازع والاختلاف، فإن توحيد الصف والكلمة أمر أساسي عند لقاء العدو، والتنازع والاختلاف مدعاة للفشل والجبن والخيبة وتغلب العدو.

فإياكم والتنازع لأنه مهدر للطاقات، ومقوّض لبنية الجماعات، وسبيل لإذهاب الحماسة، وتبديد القوة، والعصف بوجود الدولة، وإزالة روح الإقبال والإقدام، فلقد هلكت الأمم باختلافها وكثرة آرائها واعتراضاتها.

الصبر على الشدائد والمحن، وتحمل بأس العدو، فإن الصبر سلاح القوي المقدام، لذا قيل: الشجاعة: صبر ساعة، والله مع الصابرين يمدهم بالعون والتأييد والنصر."[21]

فهذه هي المعية الخاصة التي منحها الله ـ عز وجل ـ لعباده الصابرين على طاعته وطاعة رسوله، والصابرين على الانضباط وعدم التنازع.

رابعا: الثبات أمام العدو، ومقاومة الواحد الاثنان.

قال تعالى: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الأنفال: 66، وَالْمُرَادُ مَا ذَكَرَهُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى مِنْ قوله: ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ [الْأَنْفَالِ: 65] فَبَيَّنَ فِي آخِرِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْعِشْرِينَ لَوْ صَبَرُوا وَوَقَفُوا فَإِنَّ نُصْرَتِي مَعَهُمْ وَتَوْفِيقِي مُقَارِنٌ لَهُمْ.

قال البغوي:" ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ أَيْ: ضَعْفًا فِي الْوَاحِدِ عَنْ قِتَالِ الْعَشَرَةِ وَفِي الْمِائَةِ عَنْ قِتَالِ الْأَلْفِ، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: "ضُعَفَاءَ" بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَالْمَدِّ عَلَى الْجَمْعِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِسُكُونِ الْعَيْنِ، ﴿ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ مِنَ الْكُفَّارِ، ﴿ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ فَرَدَّ مِنَ الْعَشَرَةِ إِلَى الِاثْنَيْنِ، فَإِنْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الشَّطْرِ مِنْ عَدُوِّهِمْ لَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَفِرُّوا. "[22]

فثبات وصبر المؤمنين في القتال لأجل إعلاء كلمة الله، هو أول هزيمة للكافرين، حتى وإن كانوا قلة؛ فهم ينتظرون إما النصر أو الشهادة والظفر بالجنة.

4. خاتمة

بعد هذه الرحلة الماتعة مع كنز من كنوز القرآن الكريم، وهو معية الله لعباده الصابرين، والرجوع إلى معاجم اللغة وأمهات التفاسير؛ لرصد المعاني والمصطلحات، والكشف عن توجيهات القرآن للفوز بمعية الله.

فمن خلال ما سبق في مباحث ومطالب البحث يمكن الخروج بالنتائج التالية:

1) من الأسباب التي يتحصل العبد بها على معية الله - تعالى؛ التقوى والإحسان والإيمان والصبر.

2) قرن الله سبحانه صفة المعية بعباده الصابرين في أربع آيات من القرآن الكريم

3) صفة المعية لعباد الله الصابرين كانت كلها في القرآن المدني، فقد جاءت مقترنة بالجهاد وأداء العبادات.

4) الجهاد في سبيل الله والصبر عليه والثبات أمام العدو، ومقاومة الواحد لإثنين. من الأسباب العظيمة لتحصيل معية الله عز وجل لعباده الصابرين.

وأوصي الباحثين في حقل الدراسات القرآنية والتفسير خاصة، بمزيد العناية بالموضوعات القرآنية وتوثيق الصلة بالقرآن الكريم.

5. قائمة المراجع

- القرآن الكريم.
- آبادي، الفيروز مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(1992م): *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، القاهرة، ن: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ)،

سنن أبي داود: صيدا – بيروت، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ن: المكتبة العصرية.

- ابن الأثير، المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (1972) *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، ن: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان. ط1.
- ابن منظور، جمال الدين الأنصاري محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، الرويفعي الإفريقي (1414هـ)، *لسان العرب*، بيروت، ن: دار صادر.ط3.
- الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد (1412 هـ): *المفردات في غريب القرآن* - دمشق بيروت ن: دار القلم، الدار الشامية.ط1.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (1417هـ - 1997 م)، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، الرياض. ن: دار طيبة للنشر والتوزيع.ط4.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج (1404هـ- 1984م)، *نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر*: لبنان/ بيروت، ، ن: مؤسسة الرسالة.ط1.
- الجوزية، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (1409هـ/ 1989م)، *عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين*: المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ن: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث.ط3.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (1407 هـ -1987 م)، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*: – بيروت ، ن: دار العلم للملايين.ط4 .
- الحنبلي، بن رجب، بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، (1417هـ - 1996م): *فتح الباري شرح صحيح البخاري*: ن: مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة النبوية. مكتب تحقيق دار الحرمين– القاهرة.ط1.
- الدامغاني، أبي عبد الله الحسين بن محمد، *الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز*: بيروت- لبنان ، ن: محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية .
- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (1420هـ)، *مفاتيح الغيب* (التفسير الكبير): بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي.ط3.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى: (1418هـ)، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*: دمشق، ن : دار الفكر المعاصر.ط2.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (1420هـ-2000م)، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*: بيروت-لبنان-، ن: مؤسسة الرسالة.ط1.
- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (1420هـ - 2000 م) *جامع البيان في تأويل القرآن*، بيروت- لبنان- ن: مؤسسة الرسالة.ط1.
- القمي النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين (1416هـ)، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*: تح: الشيخ زكريا عميرات، بيروت، ن: دار الكتب العلمية.ط1.
- مختار، أحمد عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل (1429هـ- 2008م): *معجم اللغة العربية المعاصرة*: ن: عالم الكتب.ط1.
- ملّا حويش، عبد القادر السيد محمود آل غازي العاني (1382هـ- 1965م)، *بيان المعاني* [مرتب حسب ترتيب النزول]: – دمشق، ن: مطبعة الترقي.ط1.

• النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (1406هـ- 1986م)، *السنن النسائي*: حلب، ن: مكتب المطبوعات الإسلامية.ط2.

5. الحواشي والإحالات:

1 - المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، ن: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، - 1412 هـ (ج1/771)

2 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادى (ات: 817هـ)، تح: محمد علي النجار، ن: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة(ج4/ 511-512)

3 - معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، ن: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م(ج3/2109)

4 - يقصد قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ البقرة: ١٠١

5 - الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز: لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت: 478هـ)، تح: عربي عبد الحميد علي، منشورات: محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان (ص428-429)

6 - فتح الباري شرح صحيح البخاري: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ) ن: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، ط1: 1417 هـ - 1996 م(ج3/ص117) بتصرف

7 - بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: 1398هـ)، ن: مطبعة الترقي – دمشق، ط1، 1382 هـ - 1965 م(ج4/ص261)

8 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ن: دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407 هـ -1987 م (ج2/706)

9 - لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت: 711هـ)، ن: دار صادر – بيروت، ط3: 1414 هـ(ج4/ص438)

10 - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، ن: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط3: 1409هـ/ 1989م(ص16)

11 - المفردات في غريب القرآن (مصدر سابق) (ج1،474)

12 - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ن: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ط1 ، 1404هـ - 1984م(ص388)

13 - الوجوه والنظائر للدامغاني: "مصدر سابق" (ص301)

14 - غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: 850هـ) تح: الشيخ زكريا عميرات، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: - 1416 هـ(ج1/441)

15 - أخرجه أبو داود في سننه رقم (1319) في الصلاة، باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل، ورواه أيضاً أحمد في " المسند " 5 / 388، وإسناده ضعيف. (جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت : 606هـ)، تح : عبد القادر الأرنؤوط -

التتمة تحقيق بشير عيون، ن: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط1: (ج9/395)
16 - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 3- 1420 هـ (ج4/125)
17 - أخرجه النسائي (61/7)، ورواه أيضاً أحمد في " المسند " 3 / 128 و 199 و 285، وإسناده حسن. (جامع الأصول في أحاديث الرسول) (ج4/766)
18 - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ن: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط:2 ، 1418 هـ(ج2/40)
19 - جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، ن: مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420 هـ - 2000 م (ج5/353)
20- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ن: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م(ج1ص108)
21 - تفسير المنير للزحيلي (مصدر سابق) (ج10ص 26.25)
22 - معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: 510هـ)، تح: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ن: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م(ج3ص 375)